العولمة والغزو التكنولوجي للثقافات بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية

م.م نورا محسن جاسم
الجامعة المستنصرية–كلية الآداب–قسم الأنثروبولوجيا والاجتماع
Nwramhsan916@gmail.com

الملخص

شكلت العولمة ملامح ثقافية جديدة في مجتمعاتنا وأبرز ما تدعو إليه العولمة هو توحيد الثقافات تحت ما يسمى "بالعولمة الثقافية" إذ تعمل على محو الخصوصية الثقافية, وانتقال الافكار والقيم, والانماط الثقافية, والتكنولوجيا الحديثة, وتوسيع وتعزيز العلاقات الاجتماعية في جميع انحاء العالم. لقد لعبت ثورة الاتصالات دوراً مهماً في إحداث التأثير والتغيير الثقافي عبر حدود غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية بغرض الهيمنة على الافكار والأذواق والسلوك ولفت الانتباه على ظواهر ووسائل ثقافية جديدة.

كلمات مفتاحية: الهيمنة الثقافية, العولمة الثقافية, الانثروبولوجيا الثقافية, التغير الثقافي, الغزو التكنولوجيا.

Globalization and the technological invasion of cultures:reseach in cultural anthropology

Abstract:

Globalization has formed new Cultural features in our Societies, and the most prominent thing globalization calls for is the unification of Cultures under what is called "Cultural globalization" as it works to erase cultural specificity, transmit ideas and values, cultural patterns, and modern technology, and expand and strengthen social relations throughout the would. It has played a revolution. Communication play an important role in creating influence and cultural change across invisible borders drawn by global networks for the purpose of dominating ideas, tastes, and behavior and drawing attention to new cultural phenomena means.

Keywords: Cultural hegemony, Cultural globalization, Cultural anthropology, Cultural change,Technological invasion

المقدمة:

يجري الحديث منذ زمن ليس بالبعيد عن العولمة وبدأ العالم ينتقل دون ان يدرك من عالم سيطرت فيه العزلة الثقافية إلى عالم آخر يسوده التبادل الثقافي وبمعنى آخر من عالم يتميز بالاستقلالية الثقافية لجماعات معزولة تقليدية إلى عالم آخر يسوده تعميم العلاقات المتبادلة والتواصل لذلك شهد العالم تطور ونمو نمط لم يسبق أن شوهد في أي مكان شمل العلم, والتقنيات والتكنولوجيا الحديثة, ووسائل الاتصال المختلفة التي ساهمت بدور فعال في سرعة عملية التطور والتبادل الثقافي بالصوت والصورة وانتشار الثقافة الالكترونية فهذه التقنيات قربت المسافات بين الشعوب وسهلة التواصل والاتصال والتفاعل, وساهمت في محاولة صياغة المجتمعات وثقافتها وفق نمط متشابه إلى حدٍ ما وجعلت العالم اشبه ب قرية صغيرة. بمعنى آخر زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الانسانية.

ارتبطت العولمة الثقافية بفكرة التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم من خلال عمليات التغيير الثقافي التي تحدث داخل اي مجتمع بفعل (الحاجة وتعقد الحياة) مما يؤدي الى اكتساب ثقافة جديدة من الخارج بصورة مستمرة, وتنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق واسعة من العالم وفق فرص متكافئة, ووفق عملية الاتصال والتفاعل الثقافي فيما بينها عن طريق الغزو التكنولوجي الذي سهل من نقل الأنماط والعناصر الثقافية من مكان لآخر, وبالتالي فإن العولمة الثقافية تستند لمفهوم الشمولية أي "ثقافة بلا حدود" .

ان أهمية هذه الدراسة هي بيان سيادة الثقافة الحديثة في ظل العولمة على كافة الثقافات

وأن الهدف من الدراسة هو تسليط الضوء على الانماط الثقافية الجديدة وما يرافقها من المنتجات التكنولوجيا التي سيطرت على العالم وجعلتها تتحكم بطبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية, وبالتالي انعكاسات العولمة الثقافية على أذواق وقيم وسلوك الافراد داخل اي مجتمع يخضع للعولمة وحداثتها.

أولاً: الثقافة وبناء الانسان

تنطوي الثقافة على المركب الذي يشتمل (سلوك وتصرفات وافكار وعقائد وعادات وقيم ومعايير واتجاهات وقوانين وفنون واهداف ولغة مشتركة) يكتسبها الناس في المجتمع نتيجة للاتصالات المختلفة, سواء اكانت تلك الاتصالات فردية ام جماهيرية. وعلى هذا فإن الثقافة تشمل كل مايتسع للفرد ان يتعلمه ويشارك فيه اعضاء المجتمع ولا شك ان ما يتعلمه الافراد وما يحملونه من ايديولوجيات وقيم ومعارف واتجاهات وانفعالات يؤثر تأثيراً مباشراً في سلوكهم وتصرفاتهم, لذا فإن الثقافة تمثل نمطاً للسلوك الأنساني.

ويذهب الباحثون الى أن الثقافة لاتحدد انماط السلوك والوان المعارف التي يحملها الافراد بل هي تصوغ شخصياتهم وهي لاتتخلل حياتهم المستيقظة بل تدخل حتى في نطاق نومهم في الحال الذي يتخذونه في مضمون احلامهم. لذا فهي تشكلهم عقلياً وانفعالياً, وحتى جسمياً, وتكيف سماتهم الجسمية, وتحدد كيفية تفكيرهم بالعالم وكيفية ادراكهم. (الهيتي، الموسوعة الصغيرة(الأتصال والتغير الثقافي)، ١٩٧٨، الصفحات ٧٤-٧٥)

تدرس الانثروبولوجيا الثقافية السلوك الانساني في ماضيه وحاضره, ولما كانت ثقافة الانسان (العرف والتقاليد والمعتقدات والممارسات....إلخ) هي الوسيلة التي تمكنه من الاتصال بالأخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الأخرى المحيطة بما لها من خصائص اجتماعية في بيئتها الطبيعية المتباينة لذا كان احد أهداف الانثروبولوجيا الثقافية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى الإهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها, ولما كانت الانثروبولوجيا الثقافية تغطي مجالاً واسعاً من المعرفة الانسانية فإنها تستهدف **عملية التطور الثقافي** Cultural Evolution للثقافات المعاصرة, وكيف وصلت إلى حالتها الراهنة, وكيف تنمو الثقافات وتتغير عبر الزمن. (اسماعيل، ١٩٨٠، الصفحات ٢٨-٢٩)

وأن الانسان بأعتباره كائناً ثقافياً ينتج الثقافة بمختلف فنونها, ويسهم فيها بشتى الوسائل المادية واللفظية, ومن ثم تعبر هذه الثقافة عن حاجات الإنسان ورغباته وميوله وتطلعاته واتجاهاته النفسية والاجتماعية, وتعكس وجدانه وشعوره وانفعالاته الواعية واللاواعية, أي تتناول الثقافة الإنسانية داخل الجماعة أو المجتمع بالدرس, والتوصيف, والتحليل وبالتالي تدرس السلوك الثقافي عند الإنسان الذي يتميز عن الحيوان بالمنتج الثقافي, والأدبي, والفني, ومن ثم تدرس هذه الأنثروبولوجيا طريقة عيش الإنسان وكيف يتصرف في حياته وكيف يستخدم لغته في التعبير عن المظاهر الثقافية. وخلاصة القول: إن الثقافة ترتبط بظهور الإنسان على وجه الأرض. وكان لاكتشاف مفهوم الثقافة على يد العلامة **إدوارد تايلور** من رواد الأنثروبولوجيا الثقافية فقد عرف الثقافة سنة ١٨٧١ بقوله: الثقافة (هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع) وقد اصبح هذا التعريف رائجاً ومشهوراً في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. (حمداوي، ٢٠٢٠، صفحة ١٢) توصل **مالينوفسكي** إلى تحديد معنى الثقافة في كل مايحتويه المجتمع من عقائد وأدوات تشكل الجهاز الكلي للإنسان الذي يجد نفسه مجبرا على التكيف معه وتحقيق حاجاته الضرورية

للمحافظة على بقائه واستمراره فالحاجات الضرورية مثل الطعام والشراب والمأوى....إلخ هي العناصر الثقافية الأساسية لكل مجتمع, والتي تختلف حسب الظروف الوظيفية, ويتمثل الدور الوظيفي لهذه الحاجات في ضمان واستمرار المجتمع وذلك بفضل الأدوار الوظيفية للعناصر الثقافية داخل النسق الأجتماعي لأجل ذلك ترتبط الثقافة بكل جوانبها المادية والروحية بالاحتياجات الإنسانية. (فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، ١٩٨٦، صفحة ١٢٩) وقد اكتسبت الثقافة صفة ظاهرة بشرية عامة وعالمية ولم تعد حكراً على شعب أو شعوب بشرية معينة بالذات, وبالتدريج أضحى فضاء الفكر المعاصر يشهد انبثاق وظهور أفكار جديدة تُغني المفهوم في هذا الاتجاه وتحظى بالقبول العام لدى الباحثين المعاصرين في هذا الميدان من تلك الأفكار المتداولة والمتعارف عليها في عالم اليوم, وإن كل شعب من الشعوب البشرية ينتمي إلى ثقافة فريدة تستمد خصوصيتها من الشكل الذي قد يأخذه عند مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية, وإن تأثيرات ثقافة ما تظهر في جميع فعاليات المنتمين إليها ونشاطاتهم وفي أساليب سلوكهم كما تشكل تقاسم هويتهم الاجتماعية التي تميزهم من المنتمين إلى ثقافات أخرى مغايرة وإن الانتماء إلى هوية ثقافية معينة يعد حاجة نفسية واجتماعية ضرورية لا غنى عنها بالنسبة إلى أي إنسان في هذا العالم فهذا الانتماء هو الوسيلة الطبيعية لنمو الذات وتفتحها فالكائن البشري كالشجرة لا يقدر أن ينمو ويعيش حياة عادية إذ لم تكن له جذور ثقافية أصيلة يتغذى منها. (الدواي، ٢٠١٣، صفحة ٣٤) فالثقافة هي اساس وجود الانسان وعلى الرغم من ذلك فإن أية ثقافة لا تؤلف نظاماً مغلقاً أو قوالب جامدة, يجب أن تتطابق معها سلوكيات أعضاء المجتمع جميعهم على الرغم من أن هؤلاء الأشخاص يلتزمون– عن طريق التعلم والأعتياد بأنماط الجماعة التي ولدوا فيها ونشأوا, فإنهم يختلفون أيضاً في ردود أفعالهم تجاه المواقف الحياتية التي يتعرضون لها معاً. كما أنهم يختلفون أيضاً في مدى رغبة كل منهم في التغيير إذ إن الثقافات جميعها عرضة للتغير, وهذا يدلل مرونة الثقافة, وإتاحتها فرص الاختيار لأفرادها بحيث أن القيم التي يتمسك بها مجتمع ما وتميزه عن المجتمعات الأخرى ليست كلها ثابتة بالمطلق وتنتقل إلى حياة الأجيال المتعاقبة, وإنما ثمة قيم متغيرة, تتغير بحسب التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع. (الشماس، ٢٠٠٤، صفحة ٥٧)

وترى **روث بينيديكت Ruth Benedect** أن الثقافة تترابط من خلال عناصرها الجزئية تفكيكا وتركيبا وتقول الباحثة في خلاصة أطروحتها الجامعية "توجد حقيقة نهائية في طبيعة الإنسانية وهي أن

الإنسان يبني ثقافته من عناصر منفصلة ومختلفة عن طريق الجمع بينها ثم إعادة الجمع بينها في صورة جديدة وهكذا. ولابد من التخلص من الأسطورة القائلة بأن الثقافة هي كائن مترابط وظيفياً حتى نستطيع دراسة حياتنا الثقافية بصورة موضوعية وبالتالي نستطيع السيطرة على مظاهرها". (P., 1955, p. 471) ولطالما كانت الثقافة متمايزة بقدرتها على التكيف حتى تستطيع أن تفي بأحتياجات الأفراد المتغيرة وتحقق لهم الاشباع النفسي بما تنجزه من ارضاء للناس على اختلاف أعمارهم أو بيئاتهم الجغرافية والاجتماعية أو للمطالب البيولوجية والنفسية, فعندما تتغير ظروف الحياة فإن الإشكال التقليدية تتوقف أو تتغير أو تتحور وتظهر أشكال جديدة تفي بالاحتياجات الجديدة القائمة أو المدركة, ومن ثم توافقات جديدة, وهذا يعني أن قدرة الثقافة على التكيف والدينامية, فثمة دائماً سمات ثقافية جديدة تخترعها الجماعة أو تقوم بتعديلها. (اسماعيل، مصدر سابق ذكره، صفحة ١٠٥)

ثانياً: الغزو الثقافي

في سياق التفاعل بين الافراد والجماعات والمجتمعات تتغير عناصر ثقافتهم, ويشكل الاتصال أساس لهذا التفاعل لانه وسيلتهم إلى التأثر والتأثير وليس بالوسع فصل الاتصال عن المجتمع أو ثقافته, لانه جزء من بنيان المجتمع أو هو وظيفة من وظائفه, وقد كان للاتصال دوره في انهيار قيم المجتمعات التقليدية عبر التاريخ, وسيظل له دوره الكبير في تداعي كثير من القيم والافكار وانماط العمل والتقاليد التي لا تتوافق مع ايقاع العصر الجديد, وبناء بدائل جديدة, والاتصال بأعتباره جوهر الثقافة وهو محرك كبير للتغير, واذا ما أستخدم استخداماً ايجابياً فإنه يؤدي إلى توجه التغيير الثقافي وضبط مساره.

وعليه فإن **الاتصال بمعناه الايجابي**–اداة للتغير ووسيلة لتوجيهه لانه يتولى مهام الاعلام والتربية والتعليم والتثقيف والارشاد والتدريب والتنشئة الاجتماعية, وهذه المهام تشكل جوهر الثقافة التي يقوم عليها بنيان المجتمع إذ تتم عن طريقها تعبئة الموارد البشرية لتحقيق أهداف المجتمع والتبشير بالتغيير وأحداثه فعلاً وتوجيه الانظار اليه واعداد الناس له, لان الاتصال يمكن ان يمهد للغد عن طريق تهيئة الاذهان وغرس الاتجاهات والمهارات لمقابلة المواقف المتوقعة. وكان **ليرنر** في مقدمة الذين اشاروا الى ان شعور المجتمع بالحاجة الى التغير يؤلف عاملاً من عوامل التقدم, حيث يكون الاتصال اداة لبعث ذلك الشعور وبلورته وتشكيل صور ايجابية للاهداف الجديدة التي يمكن لمجتمع معين ان يحققها اذا ماتوفرت له القدرة على التقمص الوجداني, كما ان الاتصال يمكن ان يبث الثقة في القدرة

على التغير. (الهيتي، مصدر سابق ذكره، الصفحات ١٠٩-١١١) لذا تتميز الثقافة بالنمو والتغير والتحول والانتشار والتطور على أساس أن المجتمعات البشرية خاضعة للتطور المستمر, والنمو الديناميكي الفاعل لذلك تتغير الثقافة بدورها مع تغير المجتمع وهنا يمكن أن تسهم الثقافة في تغيير المجتمع جزئياً أو كلياً, أو يقوم المجتمع أيضاً بتغيير الثقافة أو تغيير الثقافة والمجتمع في الوقت نفسه. ولا ننسى أن الثقافة تنتشر من مكان إلى اخر حسب النظرية الأنثروبولوجيا الأنتشارية التي يمثلها كل من: **الاستاذ فرانز بواس Franz Boas** و**ويليام ريفير William Rivers** أي لا تمكث الثقافة في مكان واحد, بل تنتقل من مكان إلى أخر. فقد انتقلت الحضارة من العراق إلى مصر, وفارس, واليونان, وشبه الجزيرة العربية لتنتقل فيما بعد إلى باقي الدول والمناطق الأخرى, ويعني هذا أن الثقافة تنأى عن الثبات والمحافظة والتقوقع والأنعزالية. (حمداوي، مصدر سابق ذكره، صفحة ١٣٦)

-هل تحدث التغيرات الثقافية في مجتمع معين نتيجة تفاعل مكوناته وعوامله الداخلية فقط, أم إنها تطرأ عليه بتأثير الاتصال بمنظومات ثقافية أخرى؟

نحن نفترض أن الجواب الأرجح عن السؤال هو أن تلك التغيرات قد لا يكون مصدرها دائماً التأثيرات الخارجية المباشرة وغير المباشرة فحسب بل يحدث أحياناً أن تظهر وتتبلور نتيجة تضافر عوامل خارجية مع تأثير قوى أخرى فاعلة من داخل المجتمع المعني بالأمر ذاته. وعند البحث في ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية عن جواب للسؤال السابق, سنجد أنفسنا أمام نظريتين رئيسيتين تبدوان متعارضين:

-النظرية الانتشارية (Diffusionnisme) وهي تعتمد المنظور التاريخي في دراستها لظاهرة الثقافة وتذهب في هذا السياق إلى أن الثقافة لا العرق أو السلالة هي التي تحدد الاختلاف الأساسي بين الأجناس البشرية, وأن لكل ثقافة بشرية خصوصيتها تكم في أسلوبها في النظر إلى الكون والحياة والإنسان وهذا الأسلوب يعبر عن نفسه في لغتها ومعتقداتها وعاداتها وفنونها كما أنه يؤثر في سلوك الأفراد المنتمين إليها, وأن الثقافات البشرية جميعها توجد في حالة تطور بطيء قد لا يُلحظ أو قد لا يسترعي الانتباه ولا وجود لثقافة بشرية واحدة خلقت كاملة ومكتملة وفي الشكل الذي هي عليه حالياً كما أنه ليس هناك ثقافة منكمشة على نفسها في فضاءات معزولة تتطور من تلقاء نفسها وبفعل تفاعلاتها الذاتية فقط, وإنما الثقافة تنمو وتزدهر في أجواء التفتح والتأثر والتبادل والتلاقح المتنوع المصادر, وبتعبير آخر إن الثقافات البشرية تتطور من خلال الانتشار والتفاعل في ما بينها ويتحقق ذلك تدريجياً

بمقدار ما تملكه كل ثقافة من استعداد وقابلية لتمثل الأفكار الجديدة وكذلك بحسب ما تسمح به حدود بيئتها الطبيعية. (وإن هذا المنظور الأقرب إلى تفسير الثقافة المعاصرة, وخصوصاً فكرة حوار الحضارات والعولمة الثقافية).

-النظرية الوظيفية (Fonctionnalisme)

وانصارها يقللون من أهمية دور المنظور التاريخي في تفسير نشأة الظاهرة الثقافية وتطورها وفي المقابل يولون اهتماماً أكبر لدراسة وظيفة الثقافة ومؤسساتها في المجتمعات البشرية. فحوى هذه النظرية أن المؤسسات القائمة في كل مجتمع من (نظام للأسرة والقرابة والعلاقات الاجتماعية ودين وأعراف وعادات) تعتبر بمنزلة الوحدات الأساسية المكونة لثقافته وبالتالي هي التي يجب أن تكون موضوعاً للأبحاث في الأنثروبولوجيا الثقافية, والمسألة الرئيسة التي يجب أن تستأثر بأهتمام الباحثين ليست معرفة كيف تطورت مؤسسة أجتماعية معينة حتى أصبحت على الشكل الذي هي عليه الآن, وإنما هي بالأحرى كيف تشتغل وما هو دورها داخل البنية الكلية للمجتمع ذلك لأن لجميع العناصر المكونة لثقافة ما وظيفة معينة تستجيب لحاجات أساسية عند الأفراد المنتمين إلى هذا المجتمع وفي جميع أشكال الحضارات البشرية يمكن ملاحظة أن لكل مؤسسة ومعتقد وعادة دوراً معيناً تقوم به داخل الكل الاجتماعي المتماسك وهذا الدور غير قابل للاستبدال بغيرة. (الدواي، مصدر سابق ذكره، الصفحات ٣٧-٣٨)

إن كثرة الكلام في عشر السنوات الاخيرة عن **العولمة** لابد أن يكون سببها ليس نشأة الظاهرة بل نموها بمعدل متسارع, ولو نظرنا الى العولمة سواء من زاوية معدل انتقال الأشخاص أو معدل انتقال السلع أو رؤوس الأموال أو المعلومات أو الأفكار, نجد وراء هذا كله **تطوراً في التكنولوجيا أو "التقدم التكنولوجي" أو الغزو التكنولوجي** سواء تمثل هذا التطور في أختراع العجلة أو البوصلة أو المطبعة أو الآلة البخارية أو التلغراف أو الطائرة أو التليفزيون أو الكمبيوتر...إلخ والاعتقاد الشائع بأن العولمة ظاهرة حتمية لايمكن صدها أو الوقوف في وجهها, سببه الاعتقاد بأن التطور أو التقدم التكنولوجي هو كذلك حتمي, ولكن العولمة أيضاً تحمل دائماً في طياتها نوعاً أو آخر من **"الغزو الثقافي"** أي من قهر الثقافة الأقوى لثقافة أخرى أضعف منها (فالذي فعله المهاجرون الأوائل إلى القارة الأمريكية بالهنود الحمر كان نوعا من الغزو الثقافي وان كان بالغ القسوة وقل مثل ذلك عما فعله المهاجرون الأوربيون إلى أستراليا لسكانها الأصليين, وسائر صور الاستعمار الأخرى التي هي أيضاً صور للعولمة وللغزو الثقافي في نفس الوقت).

– إن صور الغزو الثقافي يمكن ان يكون بصور متعددة منها مايكون على شكل اعتداء رأسمالي على الهوية الثقافية للأمة المعتدى عليها من أجل استغلالها اقتصادياً, كما يمكن ان نصفها بأنها غزو دين لدين, أو إحلال ثقافة محل ثقافة أخرى وقد تكول بعددة سبل واساليب تتمثل **بشكل قسري او عن طريق الاقناع وبصورة غير ظاهرية تدريجية**, ولكن من الضرورى أيضاً التأكيد على العامل الأساسي المسوؤل عن نشأة ظاهرة العولمة واستمرارها وتسارعها وهو **التقدم أو التطور أو الغزو التكنولوجي** ذلك أنه من بين كل العوامل الدافعة أو المساعدة أو المصاحبة للعولمة يكاد الغزو التكنولوجي أن يكون أكثر هذه العوامل استقلالاً بحيث لا يكاد يحتاج المرء إلى البحث عن العوامل المسببة أو بالاحرى إنه أكثر العوامل اكتفاء بنفسه إذ لا يعتمد في وجوده إلا على ذلك الميل الطبيعي لدى الانسان لتخفيف مايبذله من جهد وما يتحمله من مشقة في سبيل البقاء على قيد الحياة, أو من أجل الإنتاج والاستهلاك. فالانسان يطور التكنولوجيا بأستمرار وكأنه مدفوع بيد خفية من إجل ان يشبع حاجاته بأقل جهد وبهذا نفهم لماذا تقترن العولمة دائماً بدرجة أو بأخرى من القهر الثقافي ذلك لان هذا التقدم التكنولوجي الذي يدفع الانسان دفعاً إلى المزيد من العولمة, ينطوي بطبيعته على تهديد للهوية الثقافية. (أمين، ٢٠٠٩، الصفحات ٤٨–٤٩)

وإن البعد الثقافي هو في مركز الصيرورة نظرا للمكانة التي تشغلها اليوم في مخيلة العولمة, ولم يعد مدهشاً أن يجلب البعد الثقافي للعولمة اهتمام الباحثين في الميدان لأن عددا من التغييرات التي أصابت العالم حتى في الحياة اليومية لها صلة بالهوية الثقافية.

وأن ماعرفته الأنثروبولوجيا الثقافية بصفة متسارعة من تطورات هامة في أمريكا في حاجة إلى التأمل من ناحية, وجدت الأفكار الاوربية في العالم الجديد أرضاً خصبة لذيوعها, ومن ناحية أخرى في نفس الوقت كانت الولايات المتحدة (ومازالت) مكاناً لمواجهة شديدة العنف بين البيض والآخرين (سود, هنود) هنا أكثر من أي مكان أخر وجدت مسألة الثقافة نفسها مطروحة بحدة إذن لم يكن من باب الصدفة إذا ما كانت الأنثروبولوجيا المتفق عليها على أنها مساهمة كبرى في دراسة الإنسان في تنوعه الثقافي. (أبيليس، ٢٠١٧، الصفحات ٥٥–٥٧) حيث تخضع الثقافة الإنسانية والبشرية لقانون التطور والارتقاء والصراع الجدلى فبعد أن تهيمن ثقافة ما على عرش الصدارة, وتسيطر على دواليب المركز, وتسود لفترة تاريخية أو زمنية معينة بفضل قوتها التحديثية والإنتاجية والابتكارية والإبداعية, فإنها إن لم تحافظ

على تلك المكانة بقوة السلطة, والعلم, والتقنية, واللغة, والانتاج فإن ثقافة الفرع أو الهامش يمكن أن تدخل معها في صراع جدلي حتى تهيمن عليها بفضل مقوماتها التجديدية والحديثة الخاصة بها, ويعني هذا أن الثقافة, في جوهرها, صراع بين الأنساق الثقافية, كما يقول بذلك **إيتامار إيفان زهر(Itamar Even Zohar)** أن الأشكال في تأثير المغلوب بالغالب لان الثقافة تنهار وتضمحل بتقليد ثقافة الأجنبي وتمثل أنساقها الثقافية بأستيعابها واحتوائها والاندماج فيها تغريبا وتدجينا واستلابا. (Zohar, 1990, p. 110)

ثالثاً: الثقافة المعولمة

أن مثقفوا الغرب ومفكروهم أصحاب المواقع الراسخة المؤثرة في ثقافة العالم المعاصر ينشدون **ثقافة بلا حدود** تواكب الاتجاه العولمي فهم في حقيقة الامر يصنعون مبررات سيطرة الثقافة الغربية على العالم وهذا الامر الذي قطع شوطاً مهماً من الانجاز العولمي على أرض الواقع في ظل اتجاه متزايد نحو عالم بلا حدود ثقافية في ظل الغزو التكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم. وإن الذين يؤيدون فكرة العولمة والأخذ بأيجابياتها يستندون إلى أنها احدثت نقلة نوعية في عالم الفكر والمعلومات في كل ميادين المعرفة وقربت المسافات أختصرت الزمن مع اكتساب الأسس والأدوات التي لابد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم (عبدالله، ١٩٩٩، الصفحات ١٨-١٩) لقد كان **كلود ليفي شتراوس** يدعو إلى التكامل والتنوع الثقافي وأن العولمة قد جاءت لتغريب الثقافة وتزييفها واستلابها وتدجينها, كما يتضح ذلك جلياً عند **فرنسيس فوكوياما** الذي أعلن نهاية التاريخ, **وألفن توفلر Alven Toffler** القائل بالثالوث: الثروة والعنف والمعرفة, على أساس أن القوة والمعرفة تؤديان إلى تحصيل الثروة والاستيلاء عليها, ولو بأستعمال العنف, (Toffler, 1980, p. 56) **وصموئيل هنتغتون Samuel Phillips Huntington** الذي قال بصراع الحضارات ضمن اشكال الصراع بين الشرق والغرب. تتمتع الفكرة القائلة بأن الثقافة المعولمة هي ثقافة هجينة بجاذبية حدسية قوية, والتي تنبع مباشرة من فكرة اللاتوطين ويرجع هذا إلى أن الحركة المتزايدة بين الثقافات والتي أدت إليها عملية العولمة تشير إلى أن تفكك الصلة بين **الثقافة والمكان** يكون مصحوباً بتمازج لهذه الممارسات الثقافية اللاتضمينية مما ينتج أشكالاً هجينة, ومعقدة وجديدة من الثقافة, فالتمازج مع ثقافات مختلفة سيؤدي حتما إلى إضعاف الثقافات المحلية وتدميرها التي تحدث كنتيجة للحركة المتزايدة فيما بين الثقافات. (توملينسون، ٢٠٠٨، صفحة ١٤١)

–تمحورت أبحاث **رولاند روبرتسون** المتعمقة حول العولمة ويقدم لنا صياغة محنكة لفكرة "**انضغاط العالم إلى مكان واحد**" وفي حين يزعم أن "الأتجاهات نحو أحدية العالم عند اخذ جميع العوامل ذات الصلة في الاعتبار تبدو صلبة لا تلين"، ويزودنا روبرتسون بنموذج يضعف بعض الانتقادات الآنية التي قد تستقطبها مثل وجهة النظر هذه يتمثل إحساس روبرتسون بالأحدية العالمية جوهرياً في سياق يحدد العلاقات الاجتماعية على نحو متزايد، وفي الوقت نفسه في إطار مرجعي تقوم القوى الاجتماعية في داخله وعلى نحو متزايد بتقرير وجودها وهويتها وأفعالها بالنسبة لروبرتسون إذن لا تدل الأحدية العالمية على اتساق بسيط– أي على شيء يشبه ثمة **ثقافة عالمية** أي الحالة الانسانية العالمية التي تستحضر فيها الرتب المختلفة للحياة الإنسانية للتفاعل مع بعضها البعض. وهو يحدد أربعة من هذه الرتب: **الأفراد من البشر، والمجتمعات الوطنية، والنظام العالمي للمجتمعات، والجماعية المهيمنة للجنس البشري**. أن العولمة بالنسبة له هي التفاعل المتزايد بين هذه الطبقات المكونة للحياة الإنسانية ولذلك فإن العالم كمكان واحد يشير ضمناً إلى تحول هذه الأنماط من الحياة أثناء قيامها على نحو متزايد بأتخاذ مواقف متعارضة واضطرارها لأخذ بعضها البعض في الاعتبار. فإن نموذج روبرتسون للأحدية هو نموذج يمكن فيه للاختلاف الاجتماعي والثقافي أن يتم إبرازه بكل دقة إذ يتم التعرف عليه من حيث علاقته بالعالم ككل في ظل العولمة. (توملينسون، مصدر السابق، صفحة ٢٠)

تلازمت العولمة أو التوجه نحو ترابط عالمي متزايد مع عدة مفاهيم متضاربة للاختلاف الثقافي، فالوعي بأن العالم "يصبح أصغر" والوعي بالاختلاف الثقافي ينحسر تزامناً مع حساسية متزايدة للاختلاف الثقافي، والغزو التكنولوجي وإن البروز المتنامي للاختلاف الثقافي يشكل جزءاً من تحول ثقافي عام يشمل انعكاسية ذاتية اوسع للحداثة. لقد أخذ التحديث يتحرك كآلة ساحقة تمحو التنوع الثقافي والبيولوجي بفعل تزامن تكنولوجي وتجاري وثقافي ينبع من الغرب. (بيترس، ٢٠١٥، صفحة ٦٧) في عصرنا الحاضر يبدو أن العالم أجمع أضحى معرضاً لأخطار جموح ثقافة واحدة للهيمنة على جميع الثقافات الأخرى، وبالتالي لتنميط ثقافي كاسح مفروض من طرف ما يقدم على أنه ثقافة إنسانية عالمية تجسدها ثقافة العولمة التي أصبحت تخترق الفضاءات الثقافية للمجتمعات وتستعمر العقول تدريجياً وتساهم في إضعاف سلطة الدول على التحكم في ما يقدم لشعوبها من سلع ومنتوجات وأفكار، والفضل في ذلك يرجع إلى توظيف الإعلام المتقدم ووسائل الاتصال الحديثة التي تتعاظم بأستمرار كفاءتها وقدرتها على تحطيم الحواجز

القائمة على خطوط المواجهات الثقافية والعقائدية والسياسية.

إن مفهوم **الهيمنة الثقافية** يدل حالياً على نمط من العلاقات الثقافية تصبح فيه الثقافات الضعيفة أو المهزومة خاضعة وتابعة لنفوذ ثقافات أخرى وخاصة في مجال إنتاج المعارف والقيم التي تحتاج إليها مجتمعاتها سواء تم ذلك بسبب تفوق موضوعي للثقافة المهيمنة في ميادين ذلك الانتاج, أو بسبب انعدام الثقة في النفس لدى الثقافة الخاضعة, وعندما تبلغ الهيمنة الثقافية درجات قصوى فإنها تتحول بالنسبة إلى الثقافة الخاضعة إلى "مثاقفة قهرية وتبعية ثقافية" وتتفاقم التبعية الثقافية حين يصبح معيار التقييم والمفاضلة بين الثقافات الخاضعة والثقافات المهيمنة من المرشح ليكون الأكثر استلاباً وتغريباً. (الدواي، مصدر سابق ذكره، الصفحات ٤١-٤٢) **هل يدعم ذلك الادعاء الثقافة بالهيمنة في عملية العولمة؟** في علم الأنثروبولوجيا ركزت **أبحاث جيمس كليفورد** على "**الثقافات الرحالة**" على اقتحام الثقافة فضلاً عن الموقع وفي معرض الكتابة عن ممارسات العبور والتفاعل التي أفسدت النزعة المحلية Localism ليفكر بالثقافة بأعتبارها **متحركة** وليست ساكنة جوهرياً دائماً تخضع لتحول في سياق الحداثة العالمية, كما يعترف كليفورد بأن فكرة الثقافة الجوالة يمكن أن تتضمن قوة عابرة بقوة التلفاز, والإذاعة, والسياح, والسلع, وهذه بالتحديد هي النقطة التي أريد التشديد عليها "فالعولمة تعزز قابلية الحركة المادية أكثر بكثير من أي وقت مضى وهذا مايضعف الربط بين الثقافة والمكان تتضمن الاختراق المتزامن للعوالم المحلية من قبل قوى آتية من بعيد, وزحزحة المعاني اليومية عن مراسيها الموجودة في البيئة المحلية". (تومولينسون ج.، الصفحات ٣٧-٣٨)

الغزو التكنولوجي سياقه وأساليبه الراهنة في ظل العولمة

كانت التكنولوجيا هي البديل الذي جرى التأكيد عليه وتشجيعه أكثر من ذي قبل ويلوح في الواقع أن التصميم الحالي للسياسة الثقافية الأمريكية يعجل بتنفيذ وتشغيل تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة وتشمل هذه التكنولوجيا شبكات الحاسب الالكتروني ونظم البث عبر الأقمار الصناعية ويمكن أن تعمل جميعها عبر الأوطان بصدد تدفق المعلومات والافكار والتكامل الثقافي حيث تنقل هذه الشبكات كميات ضخمة من المعلومات عن طريق دوائر كهربائية بالغة السرعة تخترق الحدود الوطنية وفضلاً عن ذلك فإنها لن تكون في متناول الأشكال التقليدية للرقابة والسيطرة. (شيلر، ٢٠٠٧، صفحة ٧٠)

ويرى **رايموند وليامز** أنه من بين أوجه الالتباس السائدة الاعتقاد بأن التكنولوجيا الجديدة اخترعت كما لو كانت في مجال مستقل ومن ثم تخلق مجتمعات جديدة أو أوضاعاً إنسانية جديدة مختلفة عن الواقع التاريخي. **ويلاحظ وليامز:** إن تاريخ نظم وسائل الاتصال (التليفزيون والتطورات الإلكترونية المتصلة به) لا يمكن أن تمثل بأي حال في أنها تخلق مجتمعاً جديداً أو أوضاعاً اجتماعية جديدة, ولقد خلق التحول الحاسم والمبكر للإنتاج الصناعي, أو أشكاله الاجتماعية الجديدة التي نمت عبر تاريخ طويل من التراكم الرأسمالي والتحسينات التقنية في ظروف العمل احتياجات جديدة بل إمكانات جديدة أيضاً وكانت نظم وسائل الاتصال وصولاً الى التليفزيون المحصلة الفعلية التي نبعث منها.

وبالتالي فإن **التكنولوجيا تركيب اجتماعي تخدم نظام القوة الاجتماعية السائدة برغم أنها تسهم أحياناً في التغيرات التي تحدث في تنظيم تلك القوة وتوزيعها.** (شيلر، المصدر السابق، صفحة ٧٥) وأن التفاعل الثقافي بين الثقافات العالمية ولد نوعاً من التلاقح الفكري والحضاري وساعد في ذلك وسائل الاتصال التكنولوجيا الحديثة وبمثابة النافذة الأساسية التي يطل منها على العالم ويعرف من خلالها على ثقافة الآخرين وحضارتهم ويصل عبرها إلى مصادر المعلومات والثقافة , كما اثرت الثورة التكنولوجيا في العقود الثلاثة الأخيرة في حقل الإعلام والاتصال من حيث الادوات والمضامين وإنتاج المعارف والرموز بين الأفراد والجماعات, وأيضاً شعوب العالم, اضافة لذلك أن العولمة ساعدة على زيادة التفاعل بين الشعوب وحرية تداول المعلومات والترابط بين الثقافات. وإن العولمة يمكن تلخيصها **(كثقافة أنتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد وموحد)** أو كما قال **مكلوهان** صاحب أول محاولة مهمة في **العولمة في قرية كونية** بما توحي به كلمة القرية الصغيرة فأن كل مايحصل في بقعة ينتشر خبره في البقعة المجاورة وكل مايحدث في جزء يظهر أثره في الجزء الأخر فهناك **أثر وتأثير** متبادلان يقودان الى الاعتقاد بأن هناك ميلاً لا أرادي في توحيد الوعي وتوحيد القيم وتوحيد طرائق السلوك وأنماط الانتاج والاستهلاك, بمعنى آخر قيام مجتمع انساني واحد. **وبأختصار فإن العولمة تبشر بمرحلة جديدة للتنظيم العالمي الإنساني تمثل نقيض للمرحلة السابقة.** (برهان غليوي، ١٩٩٩، الصفحات ٢٠-٢٢)

أهداف العولمة الثقافية

١- تعزيز ثقافة الاختراق التي تمثلها العولمة, والتي تقوم على أساس التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري للغرب مما يؤدب إلى فقدان الشعور بالانتماء

لوطن أو أمة أو دولة وبالتالي افراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

٢- التقليل من قيمة الثقافات الاخرى وفرض هيمنة ثقافة واحدة وهي ثقافة الغرب في الوقت الحاضر كونها المالكة لمركز توجيه آليات العولمة.

٣- تعميم الافكار والمعلومات ونقلها على مستوى عالمي, أي نقله من حيز المحدود إلى آفاق اللامحدود, العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز. (الرقيب، ٢٠٠٤، الصفحات ١١-١٢)

٤- الثورة المعرفية التي تتمثل في التقدم العلمي والتكنولوجي, وهي ميزة بارزة للعصر الراهن, وهذا التقدم العلمي جعل العالم أكثر اندماجاً كما سهل حركة الأموال والسلع والخدمات والى حد ما حركة الأفراد. (الرقيب، المصدر السابق، صفحة ١٨)

٥- العولمة بصفة عامة, والعولمة الثقافية بصفة خاصة, تمنح فرصاً استثنائية يمكن أن تخرج بالمجتمعات العربية من دوامة الاستبداد والتخلف والتقليد, وتفتح أمامها آفاقاً رحبة للاستفادة من إمكانات غير مسبوقة, ولممارسة حريات جديدة على افق واسعة النطاق. (الدواي، مصدر سابق ذكره، صفحة ١٦٧)

٦- صعوبة استيعاب العالم أو من الصعب أن ندرك العالم في هذا الزمن, نحن غارقون في تعقيد العالم وقصفه بأجزاء لاحصر لها من المعلومات حسب تعبير الجغرافي **جاك ليفي**. لذا علينا أن نتصور عالميته وندرك ذلك التعقيد, وعلاقة الجزء بالكل وتعدد ابعاده وهو ما يعيدنا إلى إصلاح الفكر إي الحاجة إلى تصور السياق العالمي الجديد في ظل العولمة. (Morin, 1999, p. 31)

٧- الغزو التكنولوجي والتحديث الصناعي الذي صل إليه الغرب أفرز قيماً ثقافية جديدة أحدثت تغيرات في الثقافات الأصلية لكثير من المجتمعات, مثلاً سيطرة القيم المادية على القيم الروحية, تمزق العائلة وسيطرة الفردانية...إلخ

الخلاصة: لقد حاولت العولمة أن تحدث تغيرات في الثقافات المحلية وتفكيكها وجعلها تخضع لنموذج الثقافة الأقوى وهي الثقافة الأوربية والأمريكية. (تيلوين، ٢٠١١، صفحة ١١٣) وبالتالي فإن دراسة العولمة والغزو التكنولوجي للثقافات تكشف عن دينامية مزدوجة (هيمنة وفرض انماط ثقافية خارجية, ومقاومة محلية) مما تجعل الثقافات في حالة تحول مستمر يعكس صراعاً بين القوى العالمية والخصوصيات الثقافية المحلية.

أولاً: المصادر العربية

١- جميل حمداوي, الأنثروبولوجيا الثقافية بين النظرية والتطبيق, ط١, منشورات دار الريف للطبع والنشر الالكتروني, المملكة المغربية, ٢٠٢٠

٢- جلال أمين, العولمة, ط٤, منشورات دار الشروق الأولى, القاهرة, ٢٠٠٩

٣- د. جون توملينسون: العولمة والثقافة, ترجمة د. إيهاب عبد الرحيم محمد, ط١, منشورات عالم المعرفة, الكويت, ٢٠٠٨

٤- جان نيدرفين, العولمة والثقافة: المزيج الكوني, ترجمة خالد كسروى, ط١, منشورات المركز القومي للترجمة والنشر, القاهرة, ٢٠١٥

٥- د. حسن فهيم, قصة الأنثروبولوجيا, منشورات عالم المعرفة, الكويت, ١٩٨٦

٦- صالح حسين الرقيب, العولمة, ط١, منشورات الجامعة الاسلامية, ٢٠٠٤

٧- سمير أمين, ثقافة العولمة وعولمة الثقافة, ط١, منشورات دار الفكر المعاصر, بيروت, ١٩٩٩

٨- عبد الرزاق الدواي, في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات, ط١, منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, بيروت, ٢٠١٣

٩- د. عيسى الشماس, مدخل الى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا), ط١, منشورات اتحاد الكتاب العربي, دمشق, ٢٠٠٤

١٠- عبد الخالق عبد الله, العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها, مقالة في مجلة عالم الفكر, ٢٨ اكتوبر, ١٩٩٩

١١- د. فاروق مصطفى اسماعيل, الأنثروبولوجيا الثقافية, منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب, الاسكندرية, ١٩٨٠

١٢- مارك أبيليس, أنثروبولوجيا العولمة, ترجمة عبد الحميد بورايو, ط١, منشورات دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع, سوريا, دمشق, ٢٠١٧

١٣- مصطفى تيلوين, مدخل عام في الأنثروبولوجيا, ط١, منشورات دار الفارابي, بيروت- لبنان, ٢٠١١

١٤- هادي نعمان الهيتي, (الموسوعة الصغيرة) الأتصال والتغير الثقافي, ط١, منشورات وزارة الثقافة والفنون, العراق, ١٩٨٧

١٥- هربت شيلر, الاتصال والهيمنة الثقافية, ترجمة د. وجيه سمعان عبد المسيح, ط١, منشورات مكتبة الاسرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠٠٧

ثانياً: المصادر الاجنبية

15- Alven Toffer, the third wave, Bantam Books, 1980

16- Edar Morin, seven complex lessons in education for the future, by the united Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 1999

17- Hammond. P. , Cultural Anthropology and Social Anthropology, New York, 1955

18- Itamar Even Zohar, Polysystem studies, numero special de poetics, V O L1, 1990